سلسلة

اللهم قوِّ إيمانى

[٣]

أين سالى ؟

تأليف : د. على راشد

ريشة : أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربى

obeikandl.com

مُصطفى وهْبى مُعلمٌ رياضيات ناجحٌ يُحبُّ عملهُ كثيرًا ويُخلصُ فيه. لذا فهُو محبوبٌ منْ كلِّ تلاميذته، يفهمُون شرحهُ للدروس، ويتجاوبُون معَ أسئلته الذكيَّة، ويتفاعلُون معَ أفكاره الثريَّة وآرائه السديدة، وهُو يرى أنَّ عمل المعلِّم ورسالتهُ أكثرُ بكثيرٍ منْ شرح المقرَّر الدراسىّ. والتأكد منْ فهم التلاميذ لهُ وحفظهمْ لموضوعاته. فذلك جزءٌ يسيرٌ منْ هذه الرسالة التربويَّة المقدَّسة التى تقتربُ منْ رسالة الأنبياء والرُّسل عليهمُ السلامُ. فعليْه بجانب ما سبق أنْ يُنمّى قدرات التفكير والإبداع لدى هؤلاء التلاميذ، ويبثَّ فيهم حماس العمل الدراسىّ، ويزيدُ منْ دافعيتهمْ للإقبال عليْه، وكذلك على الثقة بالنفْس والاعتماد عليْها، ويرسِّخُ فيهم العقيدة الإيمانيَّة، والتحلى بالسُّلوك الدينىّ القويم، والتمسُّك بالعلاقات الاجتماعيَّة السويَّة، واكتساب الاتجاهات العلميَّة الصحيحة، والقيم الإنسانيَّة المنشودة، ويُساعدهُمْ على حلِّ مشكلاتهم الدراسيَّة والشخْصيَّة والأسريَّة. ومنْ أجْل ذلك فإنَّ كلَّ منْ يتعاملُ معَ مُصطفى وهْبى سواءٌ تلاميذ أمْ زملاء أمْ رؤساء أمْ أولياء أمور ينظرُ إليه كنموذج للمعلِّم الناجح الكفْء، والقدوة التربويَّة الصالحة.

وبناءً على القاعدة القرآنيَّة التى أرساها ربُّ العزَّة والجلال فى قوْله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾، فقدْ أنْعم اللهُ - عزَّ وجلَّ - على مُصْطفى وهْبى - الذى يشْكرُ ربَّهُ دائمًا بالعمل الصالح - بزوجة صالحة جميلة المحيَّا، ذكيَّة التفْكير، لديْها الفطْنةُ وحُسْن تقدير الأمُور، وهى علاوةً على ذلك وفيَّةٌ مُخلصةٌ مُحبَّةٌ لزوْجها، وصدقَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذْ يقُولُ: «الدُّنيا متاعٌ وخيرُ متاعها الزَّوْجةُ الصالحةُ»، وبالفعْل خيْرُ متاعِ الدُّنْيا لمصْطفى وهْبى بهذه الزَّوْجة الصالحة الوفيَّة.

واستكمالا لمسلسل نعم الله - عز وجل - على هذا العبد الصالح رزقه الله وزوجته الحبيبة بمولودة جميلة قرة عين أمها وأبيها، ونبع سعادتهما، اختارا لها اسم «سالى» ..

وأضافت «سالى» إلى عش الزوجية الجميل سعادة وبهجة لا توصف، وسرورا لا يقارن وصارت الأمور على أفضل ما يكون فى دنيا مصطفى وهبى، وبعد عامين من وصول «سالى» إلى دنيا أمها

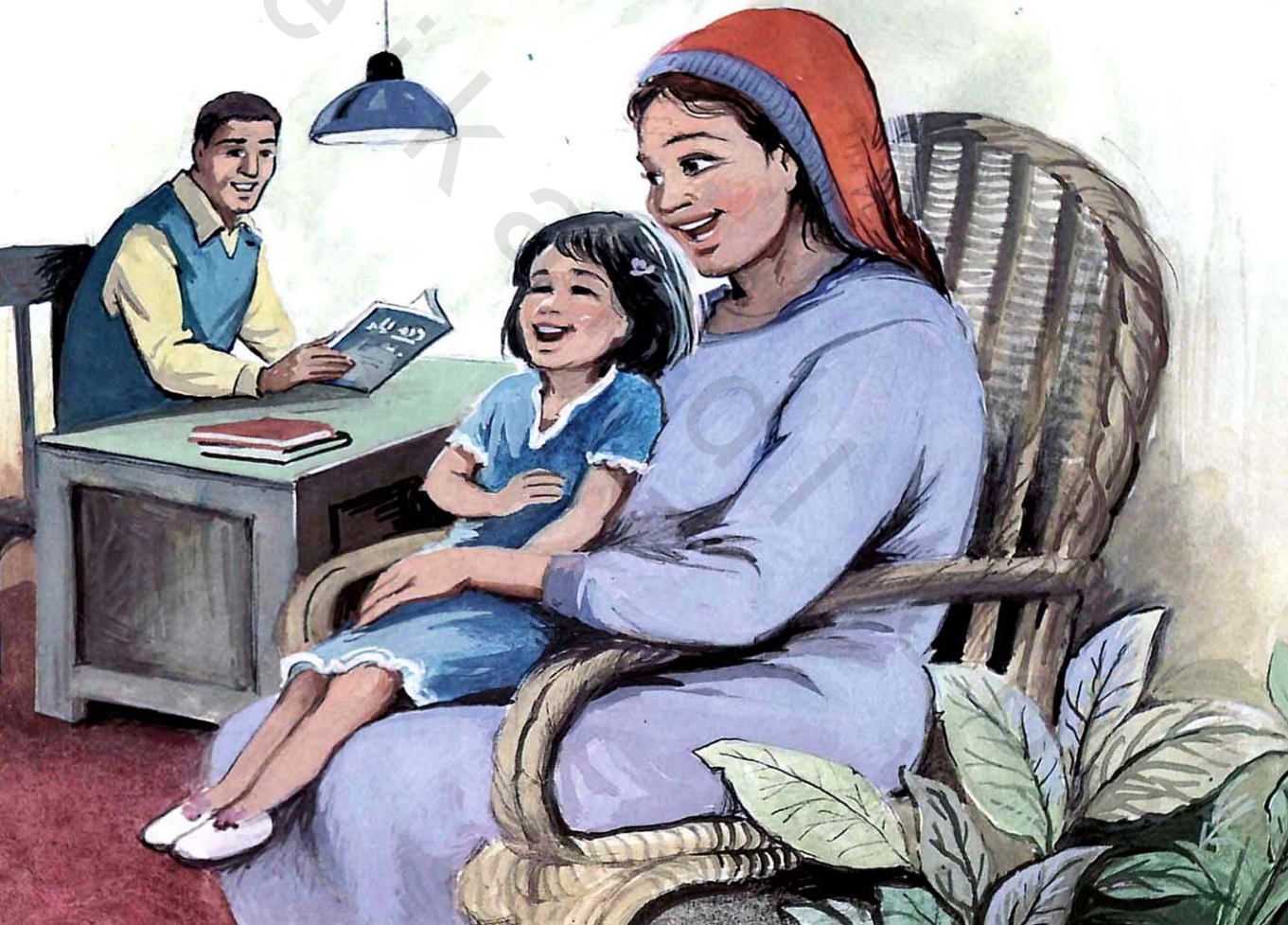

وأبيها ظهرتْ نتيجةُ إعارات المعلّمين إلى البلاد العربيّة الشقيقة. وكان من نصيب مُصطفى الذّهابُ إلى إحدى البلاد العربيّة الإفريقيّة. وسعدت الأُسْرَةُ الصغيرةُ بهذه الإعارة لما سوْف تُحقّقُهُ لها من زيادة واضحة في الدّخْل المادّيّ، وتغيير مطْلوب في شكْل الحياة.

وفعْلاً سافرت الأُسْرَةُ الصّغيرةُ إلى هذا البلد الإفريقيّ ذي الطّبيعة الخلابة والمناظر الطّبيعيّة البديعة، وما هي سوى أسابيع قليلة حتّى ظهرتْ مواهبُ ومهاراتُ مُصْطفى وهبْي في عمله التّدْريسيّ، وأيضًا في علاقاته الاجتماعيّة مع الجميع، وتكوّنتْ صداقةٌ حميمةٌ بين أُسرته وأُسرتَي اثْنين من زُملائه، أُسرةُ الزّميل يُوسُف، وأُسرةُ الزّميل خالد، وتآلفت الأُسرُ الثّلاثُ بشكْل واضح وعميق، وكانتْ عُطلةُ نهاية الأُسْبُوع تجمعُهُمْ في لقاءات، أوْ سهرات

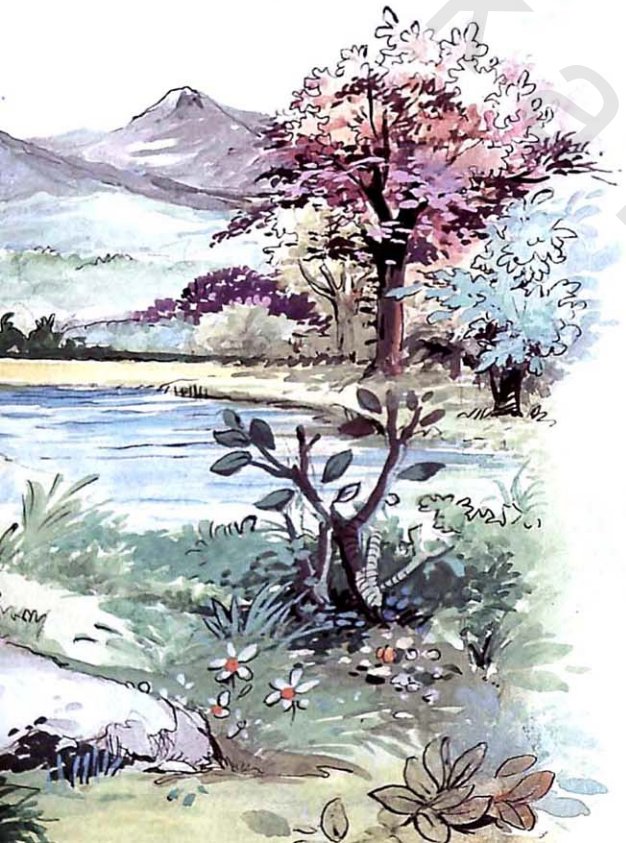

مُسلِّية، أوْ رحلات مُمتعة، أو الذَّهاب إلى الأسواق المتنوِّعة.

وانكسرتْ حدَّةُ الغُربة على هذه الأُسر الثَّلاث بهذا التَّجمع الحميم، وتعاهدُوا فيما بينهُمْ على أنْ يُؤدُّوا مَنسك العُمرة بالأراضي الحجازيَّة معًا في نهاية العام الدِّراسيِّ وقبْل عودتهمْ إلى ذويهمْ في بلدهمُ الحبيب مصرَ في مطْلع الإجازة الصَّيْفيَّة.

وفعْلاً ما إنْ انْتهى العامُ الدِّراسيُّ في بلَد الإعارة وظهرتْ نتائجُ الامتحانات وبدأت العُطْلةُ الصَّيْفيَّةُ، حتَّى شدَّت الأُسَرُ الثَّلاثُ الرِّحالَ إلى الأراضي الحجازيَّة المقدَّسة للقيام بمنسك العُمْرة. وعند ميقات الإحرام المتعارف عليْه تمَّ ارْتداءُ ملابس الإحرام، وأدَّوْا ركْعتيْن لله تعالى بنيَّة العُمرة، ثُمَّ توجَّهُوا إلى مكَّة المكرَّمة فوصلُوا إلى المسْجد الحرام - بيْت الله العتيق - بعْد المغرب بقليل،

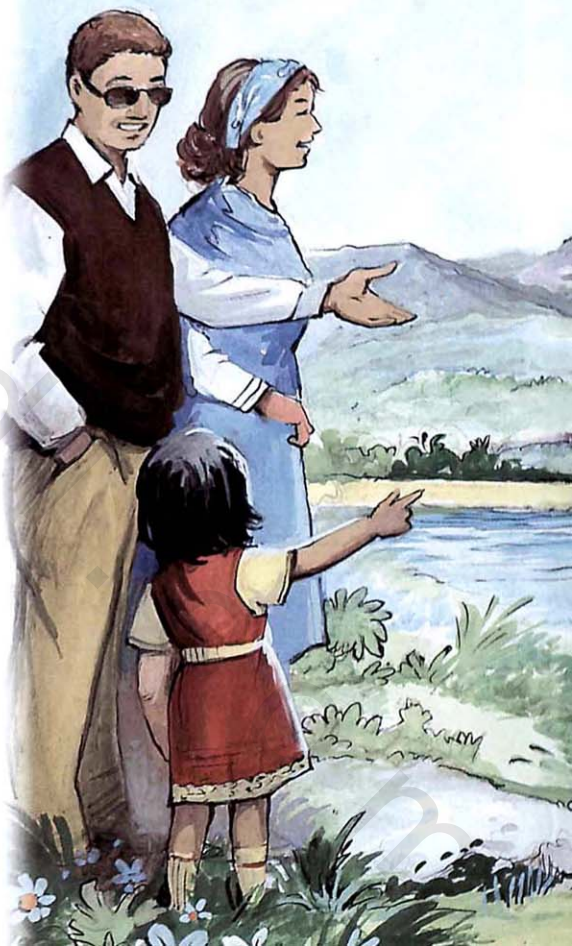

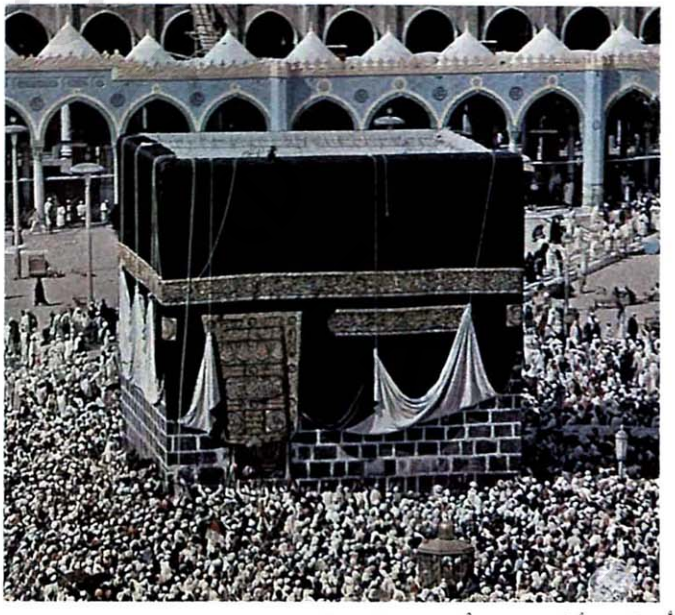

وخشعت الأبصارُ وبُهرتْ بمنظر الكعبة المشرفة - التى يرونها لأول مرة - والمسلمون يطوفون حولها فى تضرعٍ وخشوعٍ لله عزَّ وجلَّ.

وبدأ أفرادُ الأسر الثلاث فى أداء مناسك العُمْرة، فطافوا بالكعبة المشرفة سبعة أشواط، ثم صلُّوا ركعتين فى المكان الذى كان يُصلِّى فيه سيدُنا إبراهيمُ عليه السلام، وشربوا من ماء زمزم الذى قال فيه رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «ماءُ زمزم لما شُرِبَ له».

ثم سعوا بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم قصَّ كلُّ واحدٍ منهم بعضاً من شعر رأسه ليكتمل بهذه المناسك أداءُ عمرتهم. وهنأ بعضُهم البعضَ على اكتمال عُمرتهم، ودعوا اللهَ مخلصين أنْ يتقبلها منهم أجمعين إنه هو السميعُ العليم. وهنا سمع الجميعُ أذان صلاة العشاء، فاستعدُّوا للصلاة الرجالُ والأطفالُ البنون فى جانب، والنساءُ والأطفالُ البنات فى جانب آخر، وبدأت الصلاةُ وأداها الجميعُ فى خشوعٍ وهم يحمدون ربهم على نعمه الكثيرة وعلى رأسها نعمةُ استضافتهم فى بيته الحرام. وبعد الصلاة وفى أثناء تأدية مُصطفى وهبى لركعتى الشفع اقتربتْ منه زوجتُه وقالتْ له فى صوتٍ مرتبكٍ وخوفٍ واضح:

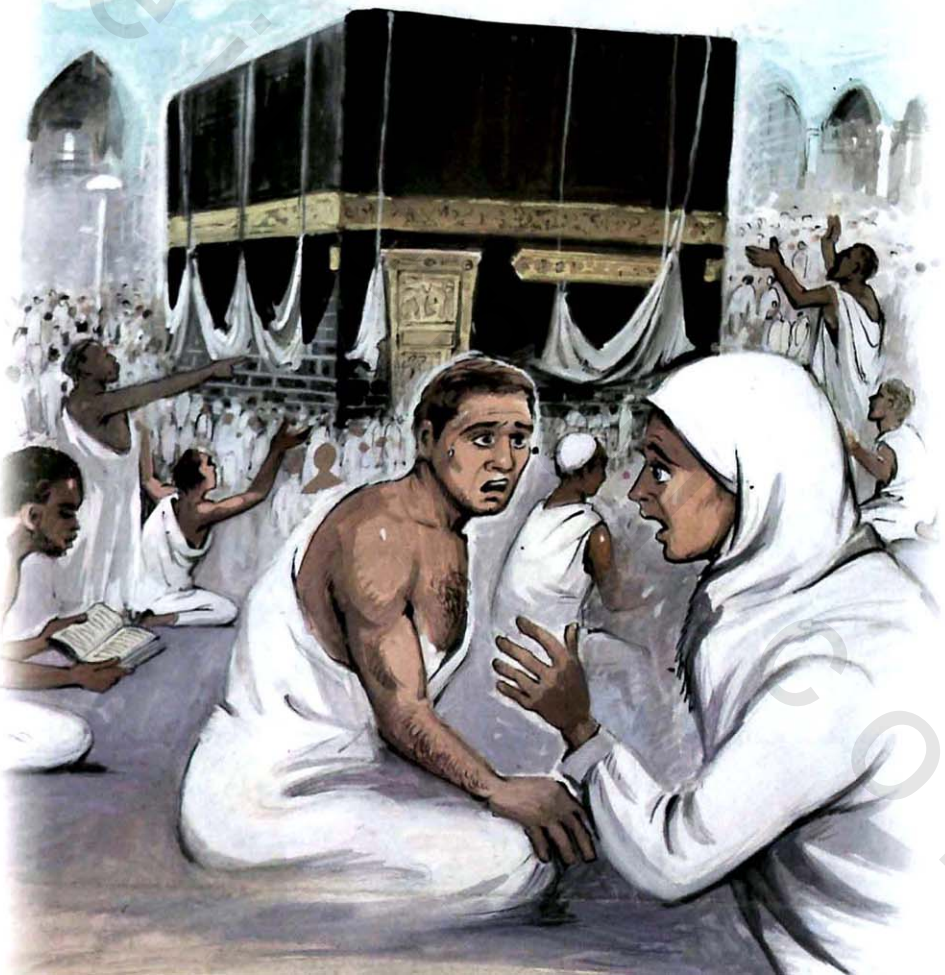

- لا أجدُ ابنتَنا سالى .. سالى ضاعتْ فى زحام المصلِّين.

ونزلت الكلماتُ كالصاعقة على سمعِ مُصطفى وهبى .. وتمالكَ نفسهُ ليكملَ ركعتى الشفْعِ على عجل، ثمَّ بادرَ زوجتهُ بصوتٍ منزعج:

- ماذا تقولين ؟ وماذا حدثَ لسالى؟ وأين ذهبتْ؟

ردَّت الزوجةُ والدُّموعُ تتساقطُ من عينيْها:

لا أدرى يا مصطفى .. لا أدرى .. فعندما كُنتُ أُصلِّى العشاءَ مع المصلِّيات كانتْ سالى تقفُ بجوارى، وبعد السُّجود فى الركْعة الثَّانية لمحتُها وهى تتحركُ بيْنَ صُفوفِ المصلِّيات، وكُنتُ بين خيارَيْن، الأوَّلُ أنْ أخرجَ من الصَّلاة وأعيدَها والثَّانى أنْ أكملَ الصَّلاة، واخترتُ الخيارَ الثَّانى وأكملْتُ الصَّلاة ظنّا منِّى أنَّها لنْ تبتعدَ عنِّى كثيرًا، وفورَ انتهاءِ الصَّلاة أخذتُ أنا ومَنْ معى فى البحْثِ عنها فلمْ نجدْها، وزادَ الأمرُ صُعوبةً وقُوفُ وحركةُ آلافِ المصلِّيات والمصلِّين بعْدَ أداءِ الصَّلاة.

وفزعَ مُصطفى منْ هولِ ما سمعَ، ولكنَّهُ أرادَ أنْ يُقلِّلَ منَ التَّوترِ والقلقِ الذى تشعرُ به زوجتُهُ، والذى بدأَ يدبُّ فى قلبِهِ هوَ فأرادَ أنْ يُطمئنَ نفسَهُ فقالَ لزوجتِه:

- لا تخشَىْ شيئًا، فإنَّ مَنْ سيجدُهَا تبكِى وهِىَ تبحثُ عنَّا سيقومُ بكلِّ تأكيدٍ بتسليمِهَا إلَى شُرْطةِ المسجدِ الحرامِ، وأعتقدُ أنَّ هذَا يحدُثُ كثيرًا لبعضِ الأطفالِ فِى مثلِ هذهِ الظُّروفِ.

ثمَّ أشارَ مُصطفَى إلَى زُملاءِ رحلتِهِمْ كَىْ يتَّجهُوا جميعًا ناحيةَ مقرِّ شُرْطةِ المسجدِ عندَ أحدِ أبوابِهِ العديدةِ، وبسؤالِ رجالِهَا تبيَّنَ أنَّ أحدًا لمْ يُسلَّمْ أطفالًا فُقدُوا مكانَ ذويهِمْ .. وعندَمَا اتَّصلَ رجالُ الشُّرْطةِ هؤلاءِ بزُملائِهِمْ فِى أماكنِهِمُ المختلفةِ عندَ أبوابِ الكعبةِ كانتِ الإجابةُ جميعًا بالنَّفْىِ ..

وبدأَ اليأسُ يدبُّ فِى قلبِ وعقلِ الأُمِّ والأبِ ومَنْ معَهُمَا، وبدأَ كلُّ واحدٍ منْهُمْ يسألُ نفسَهُ دُونَ أنْ يشعُرَ بِهِ الآخرونَ:

- هلْ يمكنُ أنْ تكونَ الطِّفلةُ الوديعةُ سالِى ذاتُ الثَّلاثِ سنواتٍ مِن عمرِهَا قدْ ضاعتْ ولَنْ يرَوْهَا بعدَ الآنَ وإلَى الأبدِ؟

- هلْ اختطفَهَا أحدُهُمْ وذهبَ بِهَا إلَى غيرِ رجعةٍ؟

- هلْ وجدَهَا أحدُهُمْ، وهُوَ الآنَ يبحثُ عنْ أسرتِهَا؟

- هلْ هِىَ تبحثُ عنْهُمْ دُونَ أنْ يشعُرَ بِهَا أحدٌ؟

وجمعَ مُصطفَى وهْبِى شتاتَ أفكارِهِ، وحاوَلَ أنْ يُنظمَهَا لحلِّ هذهِ المشكلةِ المستعصيةِ التِى يُواجِهُهَا هُوَ ومَنْ معَهُ، والَّتِى لمْ تكنْ فِى الحسبانِ، فقالَ لِمَنْ معَهُ:

obeikandi.com

-اسْمَعُوا .. مِنْ أَجْلِ أَنْ نفكرَ تفكيراً سليماً وصحيحاً أمامَ هذهِ المشكلةِ التي تقابلُنا، فينبغي أنْ نتعاونَ معاً ونتكاملَ في بحثِنا عنْ سالي .. سوفَ نُقسمُ أنفسَنا إلى مجموعاتٍ ثلاثٍ، أنا وزوجتي سنبحثُ في النصفِ الأيمنِ بالنسبةِ لوقفتِنا التي نقفُها معاً، ويوسفُ وأسرتُهُ يبحثونَ في النصفِ الأيسرِ، أمَّا خالدٌ وأسرتُهُ فيبحثونَ في الدورِ الثاني من المسجدِ، وكلَّ ساعةٍ بالضبطِ نجتمعُ كلُّنا في هذا المكانِ الذي نقفُ فيه، فإمَّا أنْ يعثرَ أحدُنا عنْ سالي، أوْ نسألَ عليها مرةً أخرى شرطةَ المسجدِ، أوْ نذهبَ للبحثِ عنها مرةً أخرى كلٌّ في منطقتِه.

ووافقَ الجميعُ على هذهِ الخطةِ المحكمةِ، وبدأتْ فرقُ البحثِ في الانتشارِ .. ومضتِ الدقائقُ وتوالتِ الساعاتُ، وهمْ يبحثونَ ثمَّ يلتقونَ ويسألونَ الشرطةَ، ثمَّ ينتشرونَ للبحثِ مرةً أخرى دونَ جدوى، لمْ تظهرْ سالي وتسربَ الأملُ من النفوسِ كما يتسربُ الماءُ منْ بينِ الأصابعِ، وكلَّما نظرَ مصطفى وهبي إلى عينيْ زوجتِه يرى فيهما هذا التساؤلَ المخيفَ:

-هلْ ضاعتْ سالي حقاً؟ هلْ فقدوها إلى الأبدِ؟ أمْ أنهما سوفَ يريانها مرةً أخرى لتظللَ السعادةُ عشهما كما كانتْ بالأمسِ.

وبينَ اليأسِ والرجاءِ تجري الدموعُ منْ عينيِ الأمِّ، ويفرُّ بعضُها منْ عينيِ الأبِ .. ومضتْ أكثرُ منْ سبعِ ساعاتٍ حتى اقتربَ موعدُ أذانِ الفجرِ، والوضعُ على ما هوَ عليه .. وتمكنَ اليأسُ من نفوسِ الجميعِ، وبخاصةٍ الأمُّ والأبُ، وشعرَ مصطفى أنَّ قضاءَ اللهِ نفذَ وضاعتِ ابنتُهُ إلى الأبدِ، وانفردَ بنفسِه وابتعدَ عنِ المجموعةِ والصورُ المشوشةُ، والأفكارُ المهزوزةُ تتأرجحُ منْ بينِ دموعِ مقلتيْه، وإذا به

يعترضُ على مشيئةِ القدرِ الذى أفقدهُ أغلى ما يملكُ ألا وهى ابنتُهُ الحبيبةُ سالى، وردد بينهُ وبين نفسه:

- لماذا كانتْ هذه العُمرةُ؟ ولماذا لمْ يعودوا مُباشرةً إلى مصرَ ومعهُما سالى .. ولماذا كانتْ هذه الإعارةُ أصلاً؟ فلقدْ كانوا سُعداءَ فى بلدهم .. لماذا هذه المحنةُ يا ربِّى؟ وهلْ هذا جزاءُ ضيفكَ أنْ يفقدَ أعزَّ شىءٍ لديه؟

وهُنا سمعَ مُصطفى صوتًا بوضوحٍ لا يقربُهُ شكٌّ ولا يُخالطُهُ تهيؤاتٌ:

- لقدْ استعنتَ بزملائكَ فى البحثِ عن ابنتكَ ولمْ تستعنْ باللهِ .. ولقدْ سألتَ البشرَ فى محنتكَ ولمْ تسألْ ربَّ البشرِ، وتمنيتَ ألا تأتى إلى بيتِ اللهِ الحرامِ، وألا تكونَ ضيفًا منْ ضيوفِ الرَّحمنِ .. لمَ هذا الضَّعفُ الإيمانىُّ يا مُصطفى، ألمْ تسمعْ قولَ الرَّسولِ الكريمِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إذا سألتَ فاسألِ اللهَ .. وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ».

وذُهِلَ مُصطفى وهَبَّ من هذا الصَّوت، وانهمرت الدُّموعُ من عينيه، وترك كلَّ من حوله وتوجَّه ناحيةَ الكعبة المشرفة حتَّى لامس أستارها وسجد لله وضغط برأسه بشدَّة على صخرها وأجهش في البُكاء وهو يقول:

- أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ يا ربِّي ..

أستغفرُكَ وأبوءُ بذنبي ..

اللَّهمَّ لن أسأل أحداً غيرك أنْ تردَّ عليَّ ضالَّتي

اللَّهمَّ لن أستعين بأحدٍ غيرك أنْ تُعيد لي ابنتي

يا ربَّ المستضعفين .. يا ربَّ المكروبين ..

يا أمانَ الخائفين .. يا مُجيرَ الملهوفين ..

أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ

أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ

وانهمرتْ دُموعُ التَّوبة من عينَي الأب التَّائب إلى الله بشكلٍ غير مسبوق واختلطتْ هذه الدُّموعُ بدعوات استغفاره .. ولم يدرِ كم مضى من الوقت وهو ساجدٌ لله، وفي لحظة من اللحظات شعر بيدٍ تلمسُ كتفهُ اليُمنى ومع ذلك ظلَّ على حالته، حتَّى شعر بنفس اللمسة على كتفه اليُمنى وسمع صوتًا واضحًا يرنُّ في أذنه:

- يا أُستاذ .. هل هذه ابنتُكَ الضَّائعة؟

obeikandl.com

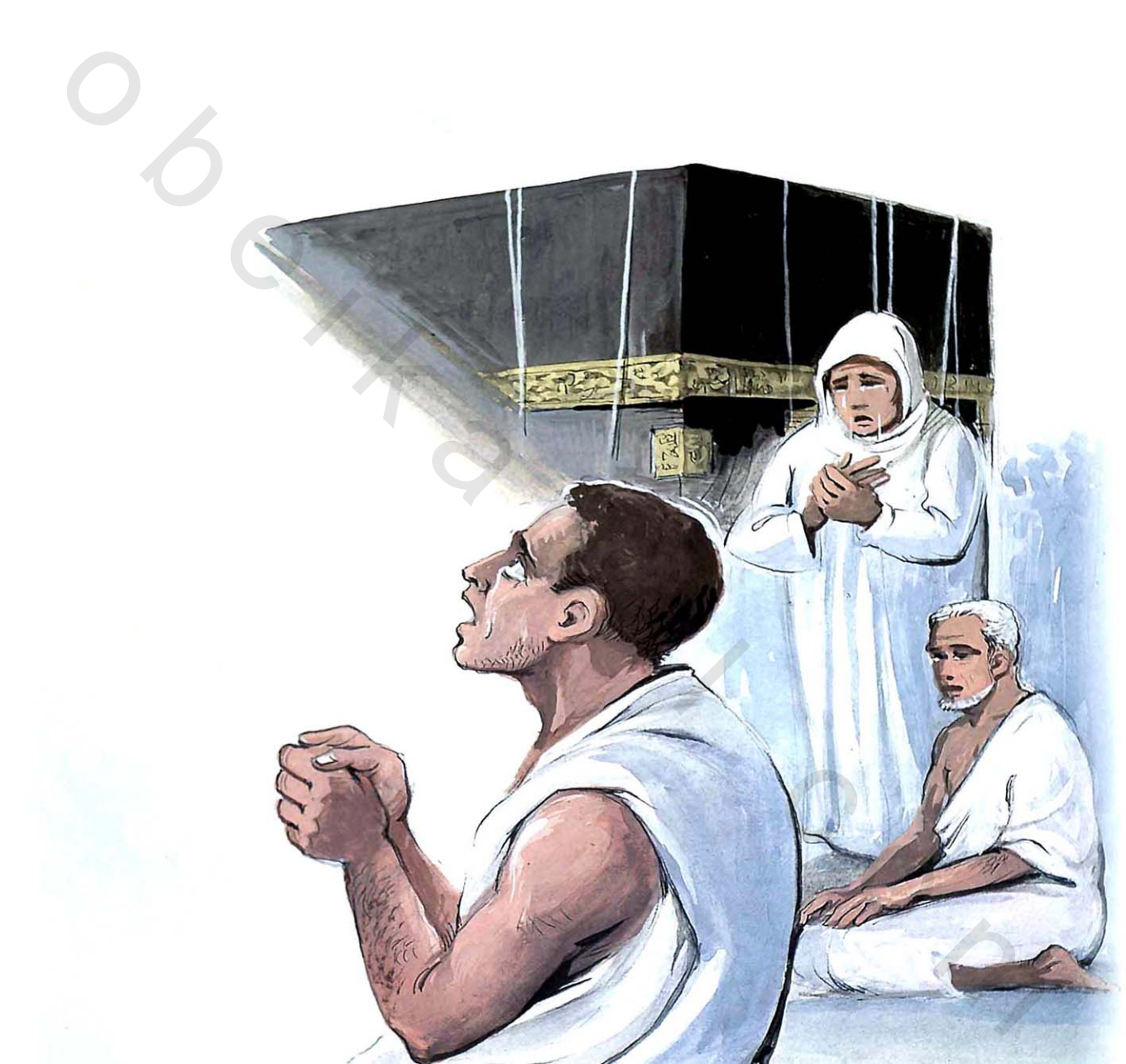

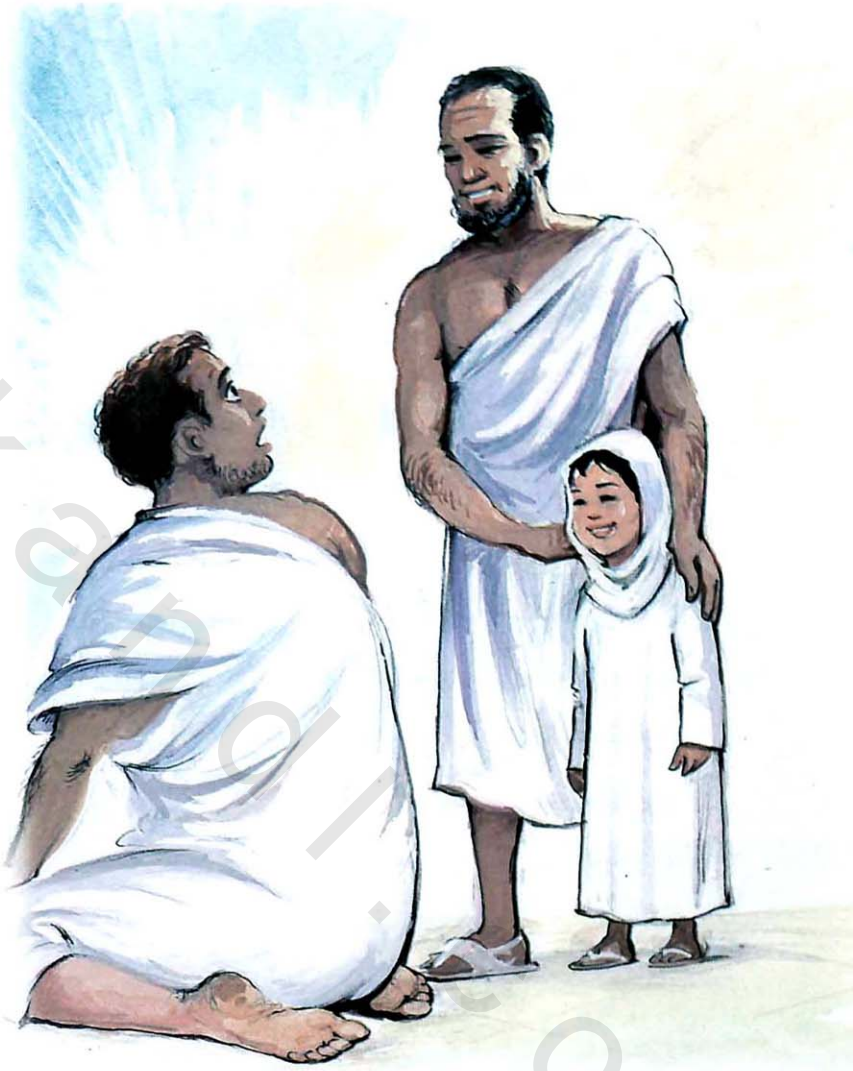

واعتدلَ مُصْطفى منْ سجدته والتفتَ نَاحيةَ الصَّوتِ الذى سمعهُ وكأنَّه آتٍ منَ العالمِ الآخرِ وهُوَ غيرُ مُصدِّقٍ لمَا سمعهُ، فوجدَ رجُلًا لا يعرفُهُ ذَا ثيابٍ بيضاءَ ولحيةٍ سوداءَ، ويُطِلُّ منْ وجْههِ النُّورُ، وهُوَ يُمْسكُ بيدِ الطِّفْلةِ الجميلةِ البديعةِ سالى وهِىَ تبْتَسمُ ولا يظهرُ عليْهَا آثارُ بُكاءٍ أو انزعاجٍ، فصرخَ مُصْطفى فى فرْحةٍ غيرِ مُصدِّقٍ لمَا يراهُ وصَاحَ:

-سالى ابْنَتى ..

سالى ابْنَتى ..

obeikandl.com

واحتضن الأبُ ابنتهُ بقوةٍ وشدةٍ وكأنهُ خائفٌ من أنْ يفقدها مرةً أخرى .. والطفلةُ الصغيرةُ تربتُ بيدها الصغيرة على كتفِ أبيها في محاولةٍ منها أن تهدئَ من انفعالاته الجيّاشة ..

ومن بين دموعه شاهد مصطفى الرجلَ ذا الثياب البيضاء واللحية السوداء والوجه المنير الذي أحضر لهُ ابنتهُ سالى وهو ينهبُ ويختفي وسط جموع الطائفين حولَ الكعبة المشرفة. وهو لا يدري من هذا الرجل؟ وكيف عرف أنَّ هذه الطفلةَ هي ابنتُهُ الضالةُ؟ وهل هو من البشر؟ أم ملكٌ من الملائكة أرسلهُ اللهُ تعالى .. كي يفرجَ كربهُ ويجير لهفتهُ .. ولم يجدْ مصطفى وهبي أيةَ إجابةٍ على أيِّ سؤالٍ من تلك الأسئلة .. ولم يرهقْ نفسهُ في الوصولِ إلى أيةِ إجابةٍ، فالمهمُّ أنهُ وجدَ ابنتهُ الحبيبةَ سالى. فحملها وأخذ يهرولُ نحوَ زوجته ومن معها قائلاً في فرحةٍ لا توصفُ:

- وجدتُ سالى .. وجدتُ سالى ..

وقبلَ أنْ يصلَ إليهمْ سمعَ نفسَ الصوتِ الذي سمعهُ من قبلُ وبوضوحٍ:

- إذا سألتَ فاسألِ اللهَ .. وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ ..

وعندما تلقفتِ الأمُّ الملهوفةُ ابنتَها سالِي أخذتْ تُمطرُها بالقُبلاتِ ودُموعُ الفرحِ تنهمرُ منها، وجموعُ الأصدقاءِ فرحونَ مسرورونَ باكونَ مُهلِّلونَ وهُم يُردِّدونَ: الحمدُ للهِ .. الحمدُ للهِ ..

وردَّدَ مُصطفى وهْبِي بعدَ أنْ سجدَ ناحيةَ الكعبةِ المشرفةِ:

- صدقْتَ يا رسولَ اللهِ ..

- صدقْتَ يا رسولَ اللهِ ..

ولمْ يدرِ أحدٌ أينَ ذهبتْ سالِي طوالَ هذهِ السَّاعاتِ؟ وكيفَ عادتْ؟

اللَّهُمَّ قوِّ إيمانِي.